مقدمة

هل فكرت يومًا بأنك عشت قبل هذه الحياة، وإن حياتك هى الإستمرارية لحياة سبقت، وهذه الإستمرارية متمثلة فى الروح التى تنتقل من جسد إلى آخر عبر الأجيال المتعاقبة، إن هذه العملية تدعى التجسد أو التقمص. والتجسد ليس بدعة جديدة بل هو معتقد قديم تدرج عبر الحضارات بأشكال مختلفة وتسميات متعددة فلاقت العديد من الأهتمام والدراسة العملية، وهناك العديد من المفكرين والباحثن والعلماء إعتقدوا به. ومازالت هذه العقيدة قيد الدراسة.

رغم تعدد الدراسات والأبحاث حول هذا الموضوع إلا أنه ليس معلوم لدى الكل، فهناك العديد من الناس لم يسمعوا به ولا يعرفوا معناه. وهناك فئات من الناس وبعض الطوائف الدينية يعتقدون بشكل قطعى بصحة هذه الظاهرة. ولهذه الأسباب قمت بالبحث والدراسة المستفيضة فى هذا الموضوع، وقمت بإستطلاع اراء العديد من الناس الذين تعرضوا لهذه التجربة فى جميع انحاء العالم، وقررت الكتابة البحثية فى هذه الظاهرة، واستكمالًا لرحلة بحثى العلمية والفلسفية فى غياهب الروح الإنسانية العظيمة، والتى بدأت بها سلسلة من المؤلفات، بدأ من كتابى (الروح، اسرار وحقائق)، وهذا هو كتابى الثانى فى هذا المجال، آملًا أن نستكمل معًا رحلة بحث من سبقونا من الباحثين والكتاب العظام الذين حاولوا أن يصلوا إلى مدى حقيقة هذه الظاهرة والإعتقاد، والتى سوف أبين رأيى كباحث ومفكر فيها من خلال كتابى هذا بإذن الله.

إن الكثيرين فى عالمنا هذا وعلى مر التاريخ حتى وقتنا الحاضر يعتقدون

أن العودة إلى التجسد هو حقيقة الوجود، وإنها مرتبطة بقانون العدل الإلهى، وأن ذلك الدستور عدله عدل، وإنه يتحتم على الإنسان التجسد فى أمكنة معينة من الأرض بغاية الإرتقاء بوعيه الإنسانى، ثم ينتقل بعدها إلى عالم الما وراء للراحة والتعلم. إنهم يشبهون عملية العودة إلى التجسد بقطرة الماء (التى تمثل الروح) بعدما غادرت محيطها عبر عملية التبخر مشكلة سحبًا فى الفضاء كى تعود إلى الأرض مع المطر الذى يهطل على قمم الجبال متجهة إلى محيطها عبر الجداول والأنهار إلى أن تعى القطرة جميع قطرات المحيط...

هكذا الإنسان فى معتقد التجسد، هو شبيه بقطرة الماء، يغادر المحيط الكونى قاطعًا المسافات، ويتجسد على الأرض، عله يفتح لا وعيه من خلال ذلك العود المتواصل إلى الأرض، والتى هى فى النهاية حاضنة الوعى البشرى.

لقد ورد فى كتاب الأستاذ «قيس جوش» (التقمص أهو حقيقة أم خيال) إن كلمة تقمص مشتقة من لبس القميص، وتقمصت الروح بمعنى إنتقلت من جسد إلى آخر. أما التناسخ فهو إنتقال النفس الناطقة من بدن إلى آخر بعد الموت، من غير تخلل زمان. والتناسخ عقيدة شاعت بين الشعوب القديمة مؤداها أن روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذى مات. ومعنى ذلك عندهم أن نفسًا واحدة تتناسخها أبدان مختلفة إنسانية كانت، أو حيوانية، أو نباتية.

وقد فرق الباحثون فى هذا المجال بين العودة إلى التجسد والتقمص، فالأولى تشير إلى أن الإنسان يرتدى جسدًا جديدًا لدى عودته مجددًا إلى الأرض، فيما الثانية تشير إلى حالات أربع من التجسد: نسخ ـ مسخ ـ فسخ ـ رسخ. بمعنى أن العودة إلى الأرض قد يكون فى شكل إنسان، أو حيوان، أو نبات، أو جماد، أربعة دوائر من الخلق. النسخ مرتبط بتوالد الإنسان مجددًا بين البشر، والمسخ يشير إلى التوالد ضمن فصيلة حيوانية معينة. إن الآية القرآنية الكريمة الواردة فى سورة المائدة ـ الآية ٦٠، ذكرت: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

أما الرسخ فيشير إلى العودة فى شكل نباتى، فيما الفسخ يتبلور فى العودة بشكل جماد معين.. جاء فى العهد القديم، تكوين ١٩:٢٦ إن امرأة لوط صارت عمود ملح. فهل هذا يمكن إعتباره فسخ؟؟. إن حالات التقمص الأربعة لا تنطبق على الإنسان كما سوف نرى لاحقًا إلا فى حالة النسخ، وما لجينات الوراثة إلا أكبر دليل على ذلك ـ كونها تقوم بنسخ خبراتها السابقة من جيل إلى جيل عبر مكونات وعى الإنسان الخفية، والتى إصطلح على تسميتها بالأجسام الباطنة، فالإنسان يعود إنسان فى أغلب الأحيان، إلا إذا تدرك وعيه إلى الحضيض...

إن بعض العلماء والباحثين فى مجال «التجسد» توصلوا مؤخرًا أن الذبذبات المخزونة فى الوعى الباطنى والأجسام الباطنية هى التى تفرض شكل الجسد اثناء تكوينه، وذلك حسبما تحمله من دورات حياتية سابقة. أما المكان الذى تحفظ فيه تلك الذبذبات، فهو يعرف طبيًا باسم "ARN" وبالتالى تأتى من خلال تلك العملية الجينات الوراثية، أو "ADN" كحصيلة أو معلومات تلك الذبذبات، بل هى تجسيد لتلك الذبذبات فى الجسد المادى.

إن المعتقدين بالتجسد يؤمنون بأن حياتنا السابقة التى عشناها خلال فترة وجودنا السابقة على الأرض، تنعكس نتائجها على تصرفاتنا وأفعالنا وحتى على شكل جسدنا المادى الذى هو إنعكاس لها، عادة الشكل القبيح يعكس صفات المرء السيئة، وعكسه صحيح، حينما يكون الشكل متناسقًا «جميلًا» يعكس الجمال الداخلى، إشراقة الوعى فى الكيان. «فكل إناء ينضح بما فيه»، إلا إذا شرد الإنسان عن الدرب القويم وتاه فى الملذات الأرضية، أو أتى هذا الجمال لتحسين نسل معين.. وهذا ينفى وجود عامل الصدفة والموهبة والحظ كما يدعى البعض.

تقول آيات القرآن الكريم فى سورة البقرة ـ سورة ـ آية ٢٨ والتى جاء فيها ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أما صورة مريم فتختم الحديث عن النبى يحيى (يوحنا المعمدان) بالقول: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ـ (الآية ١٥). وهى

الآية نفسها التى تورد سورة مريم فيما بعد على لسان السيد المسيح قائلًا عن نفسه: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ - (الآية ٣٣).

وأوريجاينس عبقرى المسيحية الأولى (فى موسوعة المعرفة المسيحية أباء الكنيسة - عدد ٣) ذكر مايلى: «لا يمكن للروح البشرية أن تبلغ الطهارة الأصلية من خلال مرور واحد إلى العالم المادى، إذ أن هناك بعض الأرواح تتابع سقوطها بإستمرار، فى حين يتمكن البعض الآخر من الصعود الجزئى، مما يحتم عليها معاودة التجسد فى عوالم وأزمنة متعددة ومتتالية، إلى أن تبلغ وحدتها الأصلية».

ذكر أبو الفلسفة سقراط (فى سلسلة عباقرة خالدون، تأليف محمد كامل حسن المحامى): «الموت ليس نهاية وجود الإنسان فى هذا الكون العظيم، إنه نهاية هذا الجسد الفانى، ولكن روحى ستعيش مع غيرها من الأرواح الطاهرة فى كنف الإله الواحد الذى يبعث الأرواح إلى الأرض». أما فيثاغورث أبو الرياضيات فى القرن السادس ق.م كان يؤمن أيضًا بتناسخ الأرواح وإنتقالها من جسد إلى جسد آخر. وموسوعة أبعاد تخطى المعرفة (ما وراء الخط الأحمر للمحامى موسى برنس، المجلد الخامس) ورد فيها على لسان العالم "Stevenson": (إن نطق الطفل بكلمات أجنبية كما حدث فى بعض حالات العودة إلى التجسد.. تفترض الإلمام السابق بهذه الكلمات..). أما عالم النفس «كارل يونج» فقد ذكر: (بأننا خلقنا متساويين، لكننا لم نولد متساوين) ألا يشير ذلك إلى العودة إلى التجسد جراء الإختلاف فى الخبرات المكتسبة سابقًا فى ماضى وجود الإنسان على الأرض!! علمًا بأن هناك العديد من أطباء علم النفس يستخدمون التنويم المغناطيسى فى معالجة مرضاهم، فيعيدونهم إلى دورة حياتية سابقة حيث نشأ فيها المريض النفسى كى تتم عملية شفاءهم.

يقول المدافعون عن معتقد التجسد أنه عبر دورات التجسد المتتالية على الأرض، يبحث كل من الرجل والمرأة عن نصفه الأفضل من أجل إكمال مسيرة الحب والزواج فى وحدة مكتملة على درب الوعى الذى سنته الحياة. وفى كل دورة حياتية على الأرض، يلتقى الرجل بالمرأة التى يعتقدها نصفه الأفضل،

فيكتسب منها ميزات وخصائص وخبرات جديدة. لكن روحه التائقة إلى وعى الحقيقة تتابع عمرًا بعد عمر، وجيلًا بعد جيل، تتابع سعيها من أجل إيجاد توأم روحها الذى إنفصلت عنه فى البدء، النصف الذى يكملها، الذى تكتمل به. والسعى نفسه يكون طريق المرأة. وهذا السعى لن يتوقف إلا متى التقت الروح بنصفها الأصيل وإكتملت وإياه، أى متى عاد الإنسان كاملًا واعيًا لكماله.

لذا يتجسد الإنسان على الأرض مرة تلو مرة، ليتكامل بوعيه وينمى مقدراته الباطنية، ليتحقق أنه كائن كبير فريد من نوعه، كل وعى كيانه الباطنى أكثر، كلما ترقى على معارج المعرفة مكتسبًا حكمة العمل والتفكير والتصرف، وليصحح ما إقترف من ذنوب وآثام بحق نفسه والآخرين، ثم ليعى أنه أخطاء حين لم يعط اللامادة حقها من الحياة ومن الوعى والتطور، مما حتم عليه العودة إلى حالة الإنسان الحجرى فى وعى ذاته.

يتجسد الإنسان ليدفع ثمن أفعالة الخاطئة وليتوب عنها، وليساعد أخيه الإنسان على النهوض بوعيه وليعلم بهدف وجوده فى هذه الحياة، بعدما أدرك معنى الآلم والسعادة، فتكشفت أمامه حقيقة الإزدواجية التى يحيا ضمنها. يتجسد الإنسان لينقذ الساقطين ويوقظ النائمين بإرشادهم إلى مغزى درب الباطن، حيث السعادة كل السعادة تكمن فى وعى المادة واللامادة على قدم المساواة فى كيانه، كما يتحول من طفل فى الوعى إلى راشد فيه.

فالأرض والحياة على سطحها تعتبر مدرسة للبشرية جمعاء، هى كالأم الحاضنة لأولادها، بين ربوعها يترعرع وينشأ الإنسان ويرتقى وعيًا، ومادام طفلًا فى وعى ذاته، فإليها يعود ليولد من جديد، وهذا ما يثبت أن التجسدات المتكررة للإنسان ليست إلا لتضييق رقعة لا وعيه وتوجيه مسلكه نحو الصواب. أما لماذا الإنسان لا يتذكر حيواته السابقة؟؟ فيقول أحد الحكماء المؤمن بالتجسد: إن كنت لا تذكر ما الذى فعلته منذ بضعة أسابيع، فهذا يدل على أن ذاكرتك عاجزة عن إحتواء الماضى القريب. فكيف تتوقع أن تحفظ الماضى البعيد؟ وكيف لك وأن تتذكر وجودًا مضى منذ مئة أو مئتى عام؟

حقيقة العودة إلى التجسد تتجلى لنا معالمها من خلال بعض المعلمين

الكبار والأنبياء والرسل مثل السيد المسيح الذى تجلى لتلاميذه بعد مماته، بوذا، وآيات القرآن الكريم الدالة على دورات الحياة المتكررة. إن معظم هؤلاء المعلمون والأنبياء قد حققوا هدف الوجود من خلال العودة إلى التجسد، أما أمثالنا من البشر، فعليهم المكوث فترة زمنية فى عوالم الأجساد الباطنية، ثم التجسد على الأرض مرارًا إلى أن نحقق التطور المنشود.

إن فهم جوهر عملية التجسد يعطى الإنسان مزاج عقلى جديد تمامًا. وفهم ذلك يسمح للإنسان أن يطابق ذاته مع الجسد الساكن فيه، بل أن ينظر إليه كما ينظر للملابس التى يرتديها والتى مع الوقت يخلعها ويستبدلها بأخرى جديدة أفضل وأكثر ملائمة له ولأهدافه وإحتياجاته. تجد هذه العملية تأكيدًا غير مباشر فى مشاعرنا وأحاسيسنا. وظاهرة الأطفال خارقى القدرات تأكيد لتلك العملية. كان بمقدور «موزارت Mozart» وهو فى الرابعة من عمره ليس فقط عزف مقطوعات موسيقية بل تأليفها أيضًا على سبيل المثال. وبالطبع لا يمكن شرح وتفسير مثل تلك الأمور وغيرها من خلال قوانين الوراثة المعروفة. ومن المنطقى أيضًا الإفتراض بأن للموهوبين ذوى المنشأ المتواضع من حيث القدرات جذور فى حياة سابقة حلت فيهم لاحقًا.

وختامًا، فإننى أعتقد أن الهدف من حياة الإنسان هو تكشف ونمو وتطور النفس روحيًا. نحن موجودين فى الأبدية وسنبقى فيها دائمًا بأرواحنا. والروح يمكن أن توجد خارج الجسد الفيزيائى وداخله كما سبق أن أوضحت فى كتابى السابق عن الروح، مع أن التجسد الجسمى العلوى المادى ضرورى فى المرحلة الراهنة لتطورنا. وبمقدار نمونا التطورى اللاحق فإن تجسدنا وتقمصنا سيصبح فى أجساد أكثر شفافية ودقة وأكثر تطورًا من أجسادنا الفيزيائية الحالية. والحياة ليست أكثر من كونها ظاهرة تشغل زمنيًا سبعين وحتى تسعين عامًا من الوجود، أى محددة لا عدد لها لحياة أشخاص كثر فى الماضى.

د. حسام كمال

القاهرة ٢٠١٥